الدكتورة: خيرة بورنان السنة الثانية: قسم الفلسفة

محاضرات في مقياس: فلسفة التأويل
في العصور الوسطى

المحاضرة رقم: 03

الأساس الأسطوري لفلسفة التأويل
(في الفكر الفلسفي اليوناني)

أولا: هرمس وميلاد الهيرمينوطيقا

تشير جل الدراسات التي تطرقت إلى أصول المصطلح إلى ارتباطه بـ(**هرمس**) (**Hermes**) رسول آلهة الأولمب[*] الذي كان يتقن لغة الآلهة ويفهم ما يجول بخاطرها، كما كان موكلا أيضا، بنقل الرسائل من زيوس، إلى كل من عداه من الآلهة، ثم يترجم مقاصدهم إلى البشر. ويتميز بأنَّه الوحيد القادر على أن يعبر المسافة الفاصلة بين الآلهة والبشر، إنَّه يلعب دور الوسيط.

وتناول هيدجر في كتابه «في الطريق إلى اللغة» الصلة الوثيقة بين معنى الهرمنيوطيقا وبين شخصية هرمس، فيقول: إنه لَمِمَّا يحمل أعمق المغزى وأبلغ الدلالة أن هرمس هو رسول الآلهة، وليس مجرد رسولٍ بين البشر بعضهم وبعض. والرسالة التي يحملها هرمس

---

[*] يؤكد بعض الباحثين ـ من وجهة نظر تأصيلية ـ أن المصطلح يعود في أصوله إلى المصريين ؛ فهرمس في الأسطورة اليونانية هو أيضا الإله المعادل والمتحول عن إله المصريين القدامى "تحوت" أو " توت".

محاضرات في مقياس: فلسفة التأويل

في العصور الوسطى

ليست رسالةً عادية، إنها رسالة مزلزلةً للعالم: فهي تُحْدِث، كما يقول هيدجر: «تحولًا في الفكر».

ومن جهته كشف إمبرتو إيكو عن آصرة القربى بين هرمس وتناسل التأويلات، من خلال طبيعة الفكر الإغريقي، فلقد كان هذا الأخير على الدوام مولعا بفكرة اللانهائي. واللانهائي في نظر الإغريق هو الذي لا يملك حدودا، أو هو الذي يستعصي باستمرار على فكرة "المعيار و"القاعدة". ولشدة الانبهار بهذا اللاَّنهائي أو اللاَّمحدود فقد صاغت الميثولوجيا الإغريقية وبشكل موازٍ لمبدأ الهوية ومبدأ عدم التناقض فكرة التحول الدائم مرموزا إليها بـ"هرمس"، كائن هلامي غامض، أب لكلّ الفنون، لكنّه في الآن ذاته أب لكلّ اللُّصوص.

وتذكر الأساطير: إنَّ هرمس كان لديه خوذةٌ سحرية تجعله خفيًّا عن الأعين، وتمكنه من أن يظهر فجأة وقتما يشاء، وكان لديه خفان مجنحان لكي يحملاه بسرعة عبر المسافات الطويلة، وعصًا سحرية يمكنه أن يُنِيم بها من يشاء ويُوقِظ، فهو لا يعبر المسافات الفيزيائية والفجوات الأنطولوجية بين الآلهة والبشر فحسب، بل إنَّه ليجتاز البون بين المرئي والمحجوب، وبين اليقظة والمنام، وبين الوعي واللاَّوعي، إنَّه الإله الزئبقي (عطارد الرومان) للخواطر الشاردة والإلهامات والبصائر المفاجئة[1].

وهو إله قطاع الطرق، حيث تتراكم الصخور Herms لإجلاله، ولم يكن يُقام مذبحه في الأزمنة القديمة إلا في الطرق البعيدة والسُّبل المنقطعة، لذلك أيضًا هو مُرشد الأرواح إلى العالم السفلي، فهو يعبر الخط الفاصل بين عالم الأحياء وعالم الموتى، بين العالم الأرضي

[1]--

محاضرات في مقياس: فلسفة التأويل
في العصور الوسطى

والعالم السفلي، إنه بحق إله الفواصل والفجوات، إله التخوم وأعتاب كل شيء، إله المفارق والعتبات وعابر الحدود، ويترأس جميع الصفقات التي تُعقد على الحدود؛ ولذلك فهو إله الترجمة وإله جميع التعاملات بين العوالم.

ويبدو من خلال فضائل هرمس أو رذائله ــ لا تناقض في الأمر في الميثولوجيا اليونانية ــ أن ماهية الهرمنيوطيقا أن تكون حديةً، وأن تتوسط بين مجالات الوجود، سواء بين الله والبشر، الصحوة والنوم، الوعي واللاوعي، الحياة وما بعد الحياة، الجليِّ والخفيِّ. ومهة هرمس الرئيسة هي بناء جسر التهم بين العالمين، وجعل ما يبدو لاعقلي شيئا ذي معنى وواضحا للأن البشرية.

وإن يصح هذا الارتباط بين هرمس والهيرمينوطيقا[2]، فإنه يضمر مكونا أساسيا من مكونات الميتافيزيقا الغربية، أو كما يسميها **جاك دريدا** بـ(ميتافيزيقا الحضور)، ألا وهو مكانة الكلمة بوصفها أصل الوجود. وهذا مبدأ عقدي يلخص القول الديني للمسيحية« في البدء كانت الكلمة». ومهما تحوم الشكوك حول صحة الصلة الإتيمولوجية بين الهرمينوطيقا وهرمس، فإنَّ الصلة بين خصائص الهرمينوطيقا، وخصائص الإله هرمس هي يقين لا شك فيه، فالهرمينوطيقا هرمسية من حيث هي فن الفهم وتأويل النصوص[3].

---

[2]– في نظر غادامير الاتكاء على مجرد التقارب بين حروف كلمة هيرمنيوطيقا وهرمس وتأسيس الارتباط المعرفي بينهما يعتبر مغامرة، يقول: « نجد في الاستعمال القديم للفظ نوعاً من الالتباس، فقد اعتبر هرمس Hermes رسول الآلهة إلى البشر، كما أنّ الأوصاف التي دلّ عليها هوميروس تظهر غالباً أنّ هرمس يبلّغ حرفياً وينجز كاملاً ما وُكّل بتبليغه. لا توجد دون شك أيّة صيغة لفهم التقارب بين فن التأويل والفن التكهني».

[3]_